

بذل النحويون الأوائل جهوداً جبّارة في سبيل بلورة نظرية نحوية متكاملة خدمة للقرآن الكريم , إلا أنّ عملهم لم يخلُ من الإشكاليات المعرفية , ولم يخل عملهم من الطبيعة الذاتية التي تشكل عائقاً من عوائق المعرفة أو تصدير خطابها , فهم بطبيعة الحال تحكمهم أطر ثقافية وسياسية ومعرفية بالنحو الذي توطر عملهم وخطابهم النحوي بما ينسجم مع مرحلتهم وطبيعة تفكيرهم وضغوط الثقافة آنذاك , وهو ما جعل خطابهم وعملهم في موضع الحاجة للدراسة النقدية التي تضع اليد على ما شاب تلك الاعمال من توترات قد لا تنتمي للعلم وخطابه بالنحو الذي شكل ظاهرة , وهو ما حفز الباحث للتقريب بعنوان الأطروحة (النقد في التفكير النحوي عند القدماء) , فحاولت هذه الدراسة الوقف على حقيقة تلك الظواهر , ومعرفة أسبابها وملايساتها , ومن هنا كان لزاماً على الباحث وبحسب طبيعة البحث أن يتسع لتوظيف أدوات مختلفة في تفسير ظاهرة العنف لذلك اتكأ على مجالات تاريخية واجتماعية ونفسية

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم على ثلاثة فصول يتقدمهن مقدمة وتمهيد ويردّفن نتائج البحث , وثبت بالمراجع والمصادر , فعرضنا في التمهيد تعريف النقد بحسب اللغة والاصطلاح , وكذلك دراسة المجتمع العربي والنحوي , وعرضنا في الفصل الأول الذي اسميناه (النقد النحوي في الأصول النحوية والتفصيل) وذكرنا فيه

صعوبة التي سببها مزج القواعد النحوية بالمنطق والفلسفة , وابتداع أساليب جديدة من مخيلة النحويين , إذ إنّها لم تُسمع من العرب , وزجّها مع القواعد النحوية , ولما كان النقد يشتغل على رصد موجهاته التي انبنى عليها العقل النحوي سلطنا الضوء على مسألة (العنف الاجتماعي) , وألقي فيه الضوء على العنف الموجود في الأمثلة المصنوعة ولا سيّما مع كلمة (ضرب) , فهي كثيرة الدوران في أمثلتهم لدرجة أن استعملوها حتى في اللاحق الصرفي فقالوا (ضرب) , وكأنّ هذه المفردة لا نظير لها , ولم يتطرق البحث للشواهد العنيفة لأنّها لم تكن من بنات أفكارهم , وأما مسألة اختيارهم لها فإنّهم قد يكونون مضطرين للاستشهاد بها لعدم وجود نظير مماثل لها , فهم محكومون بعصر الاستشهاد , وكذلك سلط البحث الضوء على مسألة تحييز النحويين ضد أصحاب البشارة (السمر) في أمثلتهم المصنوعة , وكذلك ضد المرأة , وناقش هذا المبحث العنف الموجود في القواعد النحوية , والمصطلحات النحوية كذلك , ومن يجعل الباحث للعنف الرمزي نوعاً مستقلاً ؛ لأنه منبثق من الفكري والاجتماعي على حد سواء , فهو فرض لأساليب تعليمية معينة وهو ما لجأ إليه النحويون من أساليب منطقية وفلسفية , وهو عنف ناعم غير محسوس لضحاياها وهو ما تجلّى في العنف الاجتماعي. وبذلك نكون قد غطينا مساحة مهمة من مكونات ذلك الخطاب وكيف اشتغل في كثير من مفاصله في محاولة لرصد أسس النقد وكيفية بنائها عند النحاة لكي نكشف ما لا ينتمي للمعرفة منها بغية الفرز المنهجي الذي يؤسس لدراسة المضمر في تلك المدونات المهمة.